المطلب الأول

تنمية الوعي الإسلامي بأهمية الوقف

لقد جاء الإسلام لتحقيق السعادة الدنيوية والأخروية للإنسان، وذلك من خلال اتباعه لتعاليم هذا الدين والالتزام بشرع الله تعالى.

والإسلام هو الدين الذي يقوم على الرحمة والإحسان، قال تعالى ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٠٧﴾ ﴾ [1] وقال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٞ رَّحِيمٞ ﴾ [2].

وكما كتب الله على نفسه الرحمة، وتفضل على عباده بالإحسان، فقد شرعه بينهم وندبهم إليه وأخبرهم بمحبته ومعيته الخاصة بالمحسنين قال تعالى ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴾ [3]

وقال سبحانه ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحۡسِنُونَ ﴿١٢٨﴾ ﴾ [4].

بل إن الإحسان أعلى مراتب هذا الدين، وهو كما جاء حديث في جبريل المشهور قال (فما الإحسان؟ قال أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك) [5].

لقد أرسل الله تعالى محمداً بهذا الدين ليخرج الناس من الظلمات إلى النور، ومن الضلال إلى الهـــدى جاء ليخلّص الناس من الأنانية والبخل والأثرة والشح والتنافر والتناحر، إلى التآلف والتواد والكرم والسخاء والإيثار.

ومن مظاهر الإحسان وصور الرحمة بين الخلق، ما أرشد إليه النبي ﷺ بقوله: (الراحمون

---

(١) سورة الأنبياء الآية ١٠٧.

(٢) سورة البقرة جزء من الآية ١٤٣.

(٣) سورة البقرة الآية ١٩٥.

(٤) سورة النحل الآية ١٢٨.

(٥) صحيح مسلم – كتاب الإيمان- باب بيان الإيمان والإسلام والإحسان ووجوب الإيمان رقم الحديث ٩٣ .

يرحمهم الرحمن، ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء) [1].

"وهـذا الـدين هو دين الرحمة والإحسان يعمق في نفس المسلم ووجدانه مشاعر الود والمحبـة، والتعاطف والتراحم والتآلف والتآخي تجاه إخوانه المسلمين، بغض النظر عن اللون أو الجـنس أو المـوطن، بمـا يبعث على مشاركته إيَّاهم في أفراحهـم وأتراحهم، والوقوف معهـم في محنتهم، والتخفيـف عن معاناتهم، وتيسير سبل العيش الكريم لهم بما أنعم الله عليه من علم أو مال أو جاه أو سلطان.

يقـول نـبي الرحمة ﷺ (مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى) [2].

والمسلم وهو يرفل في ثياب النعمة يدرك -أو هكذا يجب عليه- أنها من الله تفضلاً ومنّه. ونعمة المال واحدة من أجلّ النعم التي يؤتيها الله من يشاء من عباده وقد جعل الله تعالى فيه لعباده حقـاً، قال تعالى: ﴿ وَفِيٓ أَمۡوَٰلِهِمۡ حَقّٞ لِّلسَّآئِلِ وَٱلۡمَحۡرُومِ ﴿١٩﴾ ﴾ [3].

وهذا الحق منه ما هو واجب محتوم كالزكاة والكفارات والنذور، ومنه ما هو مستحب مندوب إليه كالصدقات والوصايا والهبات ونحوها.

ومـن أجلّ الصدقات وأكثرها أجراً وأبلغها أثراً وأدلها على الرحمة، وأنفعها لصاحبها وللناس الوقف حيث يمثل الذروة في التكافل الاجتماعي وقمّة التعاون على البر والتقوى.

إنه يبرهن على عمق الشعور التراحمي الذي يكنه الواقف لإخوانه ومجتمعه" [4].

---

(١) سـنن التـرمذي – كتاب البر والصلة- باب ماجاء في رحمة المسلمين –رقم الحديث١٩٢٢- صححه الألباني في صحيح سنن الترمذي –٢-١٨٠-رقم الحديث ١٥٧٩-ط١-١٤٠٨هـ-١٩٨٨م- المكتب الإسلامي-بيروت.

(٢) صحيح مسلم –كتاب البر والصلة –باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاونهم رقم الحديث ٦٥٨٦.

(٣) سورة الذاريات الآية ١٩.

(٤) انظر: الوقف ودلالاته على الرحمة والإحسان-معالي الشيخ/ صالح بن عبد العزيز بن عبد الله آل الشيخ وزير الشؤون الإسـلامية والأوقـاف والدعوة الإرشاد رئيس مجلس الأوقاف الأعلى ص٨-٩- إصدار خاص عن الإدارة العامة للعلاقات العامة والإعلامية بوزارة الشؤون الإسلامية بمناسبة انعقاد ندوة الوقف في الشريعة الإسلامية ومجالاته ١٢-١٤ محرم ١٤٢٣هـ-٢٦-٢٨ مارس ٢٠٠٣م.

إن الإنسان لديه ميل شديد إلى الدنيا وزخارفها وزينتها، وقد يدفعه ذلك إلى التمسك بها والإقبال عليها بجمع المال واكتنازه، قال تعالى: ﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنْعَٰمِ وَٱلْحَرْثِ ۗ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلْمَـَٔابِ ﴿١٤﴾ ﴾ (١).

وقال تعالى ﴿ ءَامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَأَنفِقُوا۟ مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ ۖ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَأَنفَقُوا۟ لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿٧﴾ ﴾ (٢).

يقول الحافظ ابن كثير-رحمه الله-: أمر الله تعالى بالإيمان به وبرسوله على الوجه الأكمل والدوام والثبات على ذلك والاستمرار، وحث على الإنفاق ﴿ مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ ﴾ أي: مما هو معكم على سبيل العارية، فإنه كان في أيدي من قبلكم ثم صار إليكم، فأرشد الله تعالى إلى استعمال ما استخلفهم فيه من المال في طاعته، فإن يفعلوا وإلا حاسبهم عليه وعاقبهم لتركهم الواجبات فيه.

وقوله سبحانه ﴿ مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ ﴾ فيه إشارة إلى أنه سيكون مخلفاً عنك فلعل وارثك أن يطيع الله فيه، فيكون أسعد بما أنعم الله به عليك منك أو يعصي الله فيه فتكون قد سعيت في معاونته على الإثم والعدوان.

قال الإمام أحمد: حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة سمعت قتادة يحدث عن مطرف يعني ابن عبد الله بن الشخير-عن أبيه قال انتهيت إلى رسول الله ﷺ وهو يقول: (﴿ أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ﴿١﴾ ﴾ (٣) يقول العبد: مالي مالي! إنما له من ماله ثلاث، ما أكل فأفنى، أو لبس فأبلى، أو أعطى فأقنى وما سوى ذلك فهو ذاهب وتاركه للناس)(٤).

وقوله سبحانه ﴿ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَأَنفَقُوا۟ لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿٧﴾ ﴾ ترغيب في

---

(١) سورة آل عمران الآية ١٤.

(٢) سورة الحديد الآية ٧.

(٣) سورة التكاثر الاية ١.

(٤) صحيح مسلم- كتاب الزهد والرقائق-باب ما بين النفختين- رقم الحديث ٢٩٥٩.

الإيمان والإنفاق في الطاعة [1].

ثم بيَّن الله تعالى حقيقة الدنيا التي يتنافس الناس فيها ولها يجمعون ولأجلها يتباغضون فيقول سبحانه: ﴿ ٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌۢ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ ۖ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ ٱلْكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَٰمًا ۖ وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٌ ۚ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴿٢٠﴾ سَابِقُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٢١﴾ ﴾ [2].

يقول الشيخ عبد الرحمن بن سعدي: يخبر تعالى عن حقيقة الدنيا وماهي عليه ويبين غايتها وغاية أهلها بأنها لعب ولهو، تلعب بها الأبدان وتلهو بها القلوب، وهذا مصداقه ما هو موجود وواقع من أبناء الدنيا، فإنك تجدهم قد قطّعوا أوقات أعمارهم بلهو القلوب، والغفلة عن ذكر الله وعما أمامهم من الوعد والوعيد، وتراهم قد اتخذوا دينهم لعباً ولهواً، بخلاف أهل اليقظة وعُمَّال الآخرة، فإن قلوبهم معمورة بذكر الله ومعرفته ومحبته، وقد أشغلوا أوقاتهم بالأعمال التي تقربهم إلى الله من النفع القاصر المتعدي، وقوله ﴿ وَزِينَة ﴾ أي تزين في اللباس والطعام والشراب، والمراكب والدور والقصور والجاه وغير ذلك، ﴿ وَتَفَاخُرٌۢ بَيْنَكُمْ ﴾ أي كل واحد من أهلها يريد مفاخرة الآخر، وأن يكون هو الغالب في أمورها، ﴿ وَتَكَاثُرٌ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ ﴾ أي كل يريد أن يكون هو الكاثر لغيره في المال والولد، وهذا مصداقه وقوعه من محبي الدنيا والمطمئنين إليها.

بخلاف من عرف الدنيا وحقيقتها فجعلها معبراً، ولم يجعلها مستقراً، فتنافس فيما يقربه إلى الله، واتخذ الوسائل التي توصله إلى الله، وإذا رأى من يكاثره وينافسه بالأموال والأولاد نافسه بالأعمال الصالحة" [3].

هذا ما ينبغي أن يكون عليه المؤمن في هذه الدنيا، لا يغتر بزخرفها أو زينتها ولا يجعلها

---

(١) تفسير القرآن العظيم- ١٨٢٤-١٨٢٥.

(٢) سورة الحديد الآيتان ٢٠-٢١.

(٣) انظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان-ص٨٤١- تحقيق: عبد الرحمن ابن معلا اللويحق.

أكبر همه، بل يجعل الآخرة هي الغاية التي يسعى إليها، ويلتمس الأسباب الموصلة إليها من التوحيد الخالص والطاعات والقربات، ومن جملة القربات التي ينبغي التقرب بها إلى الله وقف جزء من مال الإنسان على جهة من جهات البر وما أكثر ذلك.

"فالوقف من أفضل الطاعات وأعظم القربات لله وأجلّ الأعمال التي شرعها الله لعباده وندبهم إلى فعلها وهو مما اختص به المسلمون.

ولما كان المال عرضة للزوال، شرع الله الوقف، وندب إليه فجعل أصله محبساً لا يتصرف أحد فيه، وجعل غلّته مسبلة على الجهة التي عينها الواقف، ليستمر عطاؤه أزمنة طويلة، ويسد حاجة المحتاجين، ويكون سبباً لزيادة حسنات الواقف، وينتفع بذلك بعد مماته فيزداد أعمالاً صالحة كلما تجدد عطاؤه، وكلما دعا له من انتفع بهذا الوقف، ولذلك كان الوقف معيناً لا ينضب، ورصيداً من الأعمال الصالحة والحسنات العظيمة الدائمة المتجددة للواقف في حياته وبعد موته.

وهذا فضل عظيم لا يوجد في صدقات التطوع غير الموقوفة التي تكون محدودة النفع ولأشخاص محدودين، ومما يدل على عظم منزلة الوقف في الإسلام، وأهميته أن النبي ﷺ حث أمته عليه بقوله وطبّقه بفعله ويدل لذلك ما رواه عمرو بن الحارث ابن المصطلق أنه قال "ماترك رسول الله ﷺ إلا بغلته البيضاء وسلاحه وأرضاً تركها صدقة" [1].

وقوله ﷺ (من احتبس فرساً في سبيل الله إيماناً بالله وتصديقاً بوعده، فإن شبعه وريه وروثه وبوله في ميزانه يوم القيامة) [2].

وقد اقتدى الصحابة رضي الله عنهم بالنبي ﷺ فوقفوا أموالهم في سبيل الله في حياته وبعد موته ﷺ"[3].

---

(١) صحيح البخاري - كتاب الجهاد والسير- باب من لم يركسر السلاح عند الموت-رقم الحديث ٢٩١٢.

(٢) سبق تخريجه ص٣٠.

(٣) انظر: الوقف - إصدار خاص عن الإدارة العامة للعلاقات العامة بوزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد- حوار مع سماحة مفتي عام المملكة العربية السعودية- الشيخ عبد العزيز بن عبد الله آل الشيخ -ص١٢-١٣.

لا شـــك أن هذه المعاني الإيمانية التي حوتها نصوص القرآن الكريم والسنة النبوية والتي أكـــدها النبي ﷺ بفعله، واقتدى به أصحابه رضي الله عنهم، كل ذلك يرفع همة المسلم ويحفزه على فعل الخـــيرات، ويربأ به عن الغايات الدنيوية العاجلة والفانية ليتطلع إلى رضوان الله تعالى وما أعده ســـبحانه لعباده المؤمنـــــين الطائعين، ومن الذي لا يطمـــع في الثواب في الحياة وبعد الممات الكـــل يتوق إلى ذلك ويسارع إليه، لذا رغّب الله تعـــالى المؤمنين في الصدقـــات وحثهم على فعل الخيرات "والإسلام يتشوف إلى البذل والإنفاق في سبيـــل الله، وقد جاءت الآيات الكـــريمة مـــن كتاب الله تعالى والأحاديث الصحيحة من سنة رســـول الله ﷺ في الحث على الإنفاق وأن فيه تطهيراً لنفس المنفق وماله، وأن الله يخلف ما أنفقه ويعوضه خيراً منه بزيادة المال وبركته، وأفضل الصدقة ما عظم نفعه وحسن وقعه واستمر ثوابه وتسلسل خيره" (١) .

إن الإســـلام يوجه المسلم إلى كل ما ينفعه في الدنيا والآخرة ويرتب على ذلك الثواب الجـــزيل الـــذي يجعل الإنسان يتطلع إلى رضوان الله ورحمته، إن هذه المعاني الإيمانية جديرة أن تقـــوي الإيمـــان في نفس المسلم، وتعالج جوانب الضعف في داخله، فيتحرر من الشح والبخل وتقل رغبته في متاع الدنيا، ويعوض ذلك بالإقبال على الآخرة بالأعمال الصالحة التي تنفعه بعد مماتـــه، ومـــن أبرزها الوقف على جهات البر وإن ذلك ليعد من سبل تفعيل الوقف وتنميته في المجتمع الإسلامي.

(١) وقفات مع الوقف الخيري- عبد العزيز بن محمد النصار-ص١٦.